مقدمة الناشر

استمرت محاكم التفتيش من القرن الثالث عشر إلى التاسع عشر فى أوروبا، فى إيطاليا وفرنسا وإسپانيا بصفة أساسية، وامتدت إلى العالم الجديد، أمريكا الجنوبية.

وهى ـ كما يظهر من اسمها ـ تفتش عن عقائد المسيحيين، فإذا خالفت ما تراه الكنيسة الكاثوليكية عقيدة صحيحة، كان جزاء ذلك المخالف، أو الهرطيق، الحرق على الخشبة.

كم هو عدد المحروقين على الخشبة؟

ليس هناك تعداد دقيق، وهذا بديهى لمحاكمات وحملات صليبية استمرت عدة قرون، فى أماكن متعددة من أوروبا والعالم الجديد.

فموسوعة بريتانيكا، على سبيل المثال، لم تعط احصاءً عامًّا، ولكن تقول إن «توركويمادا» المحقق الإسپانى الشهير قد أصدر وحده أحكامًا بحرق ٢٠٠٠ مهرطق.

وقد قرأنا من قبل فى الحملة الصليبية على جنوب فرنسا ما قيل عن قتلها عشرين ألفًا من سكان مدينة بيزييه، وأن الله سوف يفرز مَن مِن القتلى كان صالحًا ومن كان مهرطقًا.

يقدر بعض المؤرخين البروتستانت عدد قتلى المحاكم بـ: عشرين مليون ضحية[1]، وهناك من قال بأكثر من ذلك.

بينما قال ڤولتير فى كتابه: «God & Human Beings» إن إجمالى ضحايا محاكم التفتيش يقارب المليون، منهم ٣٠٠,٠٠٠ قتيل بسبب خلاف لاهوتى على كلمة «consubstantial» والتى تعنى «من نفس المادة أو الجوهر»، والكلام حول المسيح وأنه من نفس «مادة أو جوهر الله».

(١) انظر: «Answering Fundamentals» Albert S. Nevins - Our Sunday Visiting Publishing Division, 1990, صفحات ١١٧ ـ ١٢٤.

obeikandl.com

ويضيف ڤولتير إن الحروب الدينية المسيحية بين البروتستانت والكاثوليك فى أوروبا أسالت دماء مليونين من المسيحيين.

وجمع ڤولتير عدد المقتولين باسم المسيح ولأسباب متنوعة، فبلغ ٩,٤٦٨,٨٠٠ ضحية[٢].

بل ويذهب ڤولتير فى كتابه المذكور إلى أن من يقتدى بالمسيح بطريقة صحيحة تعتبره الكنيسة الكاثوليكة مهرطقًا يستحق الحرق على الخشبة ـ صفحة ١٦٣.

وتلك فى الحقيقة مشكلة تظهر من نص فى الإنجيل يقول فيه المسيح: «زوال السماء والأرض أسهل من سقوط نقطة واحدة من الشريعة» ـ لوقا: ١٦: ١٧، بينما أرسل بولس إلى مؤمنى غلاطية «يحررهم من الشريعة»، مثل قوله: «يا من تريدون التبرير عن طريق الشريعة، قد حُرمتم المسيح وسقطتم من النعمة» ـ ٥: ٤.

وفى كتابنا الحالى، سيجد القارئ أن من أسباب الاتهام بالهرطقة عدم أكل الخنزير، أو عدم إيقاد نار فى يوم السبت... وأمثال ذلك، بينما فى كتاب «The Spanish Inquistion» يجد القارئ إرشادات للمحققين الذين يبحثون فى صحة مسيحية المتحولين من اليهودية أو الإسلام، مثل طريقة الاستحمام، والدفن، والأكل، وما إلى ذلك.

ولكن ما هى العقيدة المسيحية التى من يخرج منها يصبح مهرطقًا؟ وكيف تم التوصل إليها؟

تراكمت العقيدة المسيحية على مدار عدة قرون، وشكلتها أقوال آباء الكنيسة القدامى، ومجامع مسكونية (عالمية) متعاقبة، غيرت وأضافت وحذفت، وحرَّمت وقننت، وخالف بعضها البعض، حتى وصلت للصيغة الآتية بعد مجمعى نيقيا والقسطنطينية (٣٢٥ ـ ٣٨١):

We believe in one God, the Father, the Almighty, maker of heaven and earth and of all that is seen and unseen.

We believe in one Lord, Jesus Christ, the only Son of God, eternally begotten of the Father, God from God, Light from Light, true God from true God, begotten, not made, one in Being with the Father.

Through him all things were made.

For us men and for our salvation he came down from heaven: by the power of the Holy Spirit he was born of the Virgin Mary, and became man.

For our sake he was crucified under Pontius Pilate; he suffered, died, and was buried.

(٢) الناشر: Prometheus Books، طبعة ٢٠١٠، صفحات ١٤٣ ـ ١٤٨.

On the third day he rose again in fulfillment of the Scriptures; he ascended into heaven and is seated at the right hand of the Father.

He will come again in glory to judge the living and the dead, and his kingdom will have no end.

We believe in the Holy Spirit, the Lord, the giver of life, who proceeds from the Father and the Son.

With the Father and the Son he is worshiped and glorified.

He has spoken through the Prophets.

We believe in one, holy, Catholic, and apostolic church.

We acknowledge one baptism for the forgiveness of sins.

We look for the resurrection of the dead, and the life of the world to come. Amen.

وعلى سبيل المثال، فمارتن لوثر، ومن تبعه من البروتستانت هراطقة، كذلك نظرت كل من الكاثوليكية والبروتستانتية إلى الأرثوذكس الذين يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح على أنهم هراطقة[٣]، ولقد أحرقت الكنيسة الكاثوليكية ما أستطاعت حرقه من الهراطقة.

يتعرض الكتاب لأهوال الاتهام والتحقيق فى تلك المحاكم، وعواقبها التى تشمل الحرق على الخشبة، وفى بعض الأحيان نبش قبور الموتى ومحاكمتهم، ثم حرق جثثهم إذا ثبتت هرطقتهم، إلى مصادرة الأراضى والممتلكات... إلى غير ذلك...

وقد أطلقت الكنيسة على تلك المحاكمات، بمواكبها المهيبة ونتائجها المفجعة: عملًا إيمانيًّا.

(٣) انظر موسوعة بريتانيكا طبعة ٢٠٠٦ تحت عنوان: «Monophysite heresy» صفحة ١٢٨٤.